التعاون المنزلى

والجمعية التعاونية المنزلية لمدينة القاهرة

لمندوب المجلة التعاونى

ليس هناك شك فى أن الانسان يحاول إسعاد نفسه بمختلف الوسائل ، و إشعارها بأن الحياة سهلة بسيطة رغم ما فيها من متاعب وآلام. ولولا هذه المحاولات المتباينة بتباين الناس واختلاف مطامعهم وآمالهم لكانت الحياة ثقيلة الوطء بغيضة إلى كل نفس ، فللموظف والتاجر ، والعامل والصانع ، والزارع وغيرهم متاعب وشكايات تنغص عليهم عيشهم ، وتحملهم الآلام ، وتبعث إلى نفوسهم الملل والضجر ، غير أن لكل منهم فى الوقت نفسه مطامع وآمالا تحبب إليهم الحياة ، وتدفع بهم إلى العمل والجهاد ، وتقوى عزائمهم ، وتحبب إلى نفوسهم الصبر على احتمال المكاره. ولولا هذه المطامع والآمال لشاهدت وجوها غير الوجوه ، وسمعت أصواتا غير الأصوات ، وأحسست عواطف غير العواطف .

والناس فى الدنيا باعتبارهم مستهلكين بصرف النظر عن مهنهم وحرفهم ، يجمعهم مطمع واحد أو غاية واحدة هى أن يحصلوا على ما يستهلكونه من حاجاتهم المنزلية من أصناف جيدة و بسعر معتدل ، وأن يتخلصوا من جشع التجار والوسطاء وما يفرضونه عليهم من ربح فاحش. ذلك لأنهم يرون أن ما يدفعونه أثمانا لأصناف المأكل والملبس وكثير من الحاجات الضرورية لا يتناسب مع أثمان المواد الأولية التى تتكون منها هذه الأصناف ، ولا مع الأثمان التى اشتريت بها من المنتجين . والواقع أن المستهلك لهذه الأصناف اللازمة له ولمنزله لا يحصل عليها إلا بعد أن يضاف إليها ربح تاجر "القطاعى". وهذا لا ينالها إلا بعد أن يضاف إليها ربح تاجر الجملة ، وهذا لا يشتريها إلا بعد أن يضاف إليها ربح التاجر المصدر ثم التاجر المنتج " وهى سلسلة طويلة من الأرباح يتحملها المستهلك ، وفى كثير من الأحيان يكون هذا المستهلك شخصا إيراده محدود ، ويحتاج إلى تدبير هذا الإيراد حتى يستطيع أن يشترى كل لوازمه لنفسه ولأسرته " . وليس من شك فى أن شعور الناس بهذا الغرم هو الذى يدفعهم إلى البحث عن الوسائل المختلفة التى ترفعه عنهم وتريحهم منه ليتمكنوا بما يوفرونه من فرق بين السعر المعتدل والسعر المرتفع من سد العجز فى نواح أخرى أو الحصول على أشياء تخفف عنهم أعباء الحياة وتشعرهم بالطمأنينة والراحة .

بحث المستهلكون ذلك الأمر وفكروا فيه فلم يجدوا أمامهم غير وسيلة واحدة لتحقيق هذه الغاية ، هى أن يتضافروا على إنشاء الجمعيات التعاونية التى تقوم بشراء ما يحتاجون إليه جملة وتوزيعه عليهم " بالقطاعى " ، والتى من أهم أغراضها الحصول على أصناف جيدة ، وتوزيعها بسعر معتدل يعادل سعر الجملة الذى لا يستطيع المستهلك اليومى أن يحصل عليه باستمرار ، كما أن من أهم أغراضها إبعاد الوسطاء وطمعهم واستغلالهم للمستهلكين .

وبدأ بنشر الدعوة إلى التعاون فى مصر زعيمه المرحوم " عمر بك لطفى " ، ثم والاه المغفور له " السلطان حسين كامل " بالتعضيد والتشجيع ، وكان التعاون فى أول مرة شعبيا ، أى أن الشعب هو الذى فكر فى إنشاء الجمعيات التعاونية ، والسير بها نحو الغاية المنشودة دون الرجوع إلى هيئة تعضده وتشرف عليه وتمد له يد المساعدة ، وبدأت الحركة تثمر ثمرها وتشق طريقها نحو النجاح إلى أن اعترضتها صدمة كادت تودى بها وتقضى عليها ، أما هذه الصدمة فالضعف والذبول اللذان أصاباها بوفاة زعيمها وقائد نهضتها .

وفكرت الحكومة بعد هذا الضعف والذبول فى أن تعمل شيئا تنقذ به الحركة قبل اضمحلالها وزوالها ، وانتهت من تفكيرها إلى أن تتقدم بعد خمسة عشر يوما كاملا من قيام عمر بك لطفى منادیا بالتعاون للأخذ بناصر الحركة وانتشالها من الضعف الذى دب إليها ، وإحيائها بعد الفناء الذى كادت تصير إليه . وأصبح التعاون فى هذه المرحلة التى رأت الحكومة أن تأخذ بناصره فيها حكوميا ، واستمر على ذلك خمس سنوات إلى أن جاء المغفور له " فتح الله بركات باشا " فأعطاه جزءا كبيرا من عنايته ، ووالاه باهتمامه .

يقول الدكتور ابراهيم بك رشاد فى محاضرته — واجبنا التعاونى بعد المعاهدة — " انقضت على هذه الحال خمس سنوات حتى جاء المغفور له فتح الله بركات باشا فأولى التعاون كل عنايته مستعينا بأعضاء البرلمان ، وبحث الحركة التعاونية بحثا دقيقا على ضوء الظروف الخاصة بمصر ، وعلى هدى تجاريب الماضى ، مع الاسترشاد بالنظم المتبعة فى الخارج ، وقد اهتدى إلى الرأى السديد وهو أن التعاون فى بلادنا لا تقوم له قومة يعتد بها إلا إذا أخذت بيده الأمة والحكومة معا " أى أن يكون شعبيا حكوميا يقوم به الشعب لرفع مستواه فى نواحى الحياة المختلفة من اقتصادية واجتماعية وثقافية ، وتقوم الحكومة بتنظيمه ، وتوجيهه ، والدعوة إليه ، والإشراف على جمعياته ومراجعة حساباتها ، وإمداد القائمين بها بما يحتاجون اليه من نصح و إرشاد .

وفى ظل هذا النظام الجديد ، وعلى هذا الأساس الحكومى الشعبى بدأت الحركة التعاونية تشق طريقها من جديد نحو التقدم والثبات ، وقد أثبتت التجارب أن معاونة الحكومة للشعب ضرورية ولازمة لاستمرار النجاح الذى أسرعت الجمعيات التعاونية الخطى نحوه . .

وقد كان من توفيق الله أن وجه التعاونيون أنظارهم إلى العاصمة ، وأن دفعهم إلى استكمال النقص فيها من الناحية التعاونية . وكان توفيق الله أعظم بإنشاء "الجمعية التعاونية المنزلية للقاهرة" بعد أن زالت العقبات الكثيرة التى كانت تعترض طريق إنشائها .

والغرض من إنشاء هذه الجمعية تكوين هيئة مهمتها خدمة سكان القاهرة جميعا بتقديم جميع حاجاتهم المنزلية دون أن يكون لها غرض فى الربح أو الاستغلال . وتسير الجمعية فى عملها وفق النظام التعاونى المعترف به فى جميع أنحاء العالم ، والذى تقوم عليه الجمعيات التعاونية فى كل مكان . ويتلخص هذا النظام فيما يأتى :

١ — باب العضوية المفتوح . " Open Membership " ومعنى هذا أن لكل فرد من سكان القاهرة حق الاشتراك فى عضوية الجمعية بشراء سهم أو أكثر ، ومعناه كذلك أن رأس مال الجمعية قابل للزيادة المطردة ، وكل ما يشترط بالنسبة للأسهم هو عدد مايجوز للعضو الواحد أن يمتلكه وقد حدد بخمس مجموع رأس المال والغرض من ذلك واضح .

٢ — الديمقراطية فى الادارة " Democratic ControlC one man one vote " أى أن الأعضاء جميعا متساوون فى الحقوق والواجبات ، ولكل منهما بلغ عدد أسهمه بالنسبة لغيره صوت واحد فى الجمعيات العمومية ، ولصاحب السهم الواحد كما لصاحب المائة حق ترشيح نفسه لعضوية مجلس الادارة أو لعضوية لجنة المراقبة .

٣ — توزيع " العائد " على الأعضاء بنسبة معاملاتهم مع الجمعية .

" Distribution of the Surplus to the members, in propostion to their transaction " ويقصد بالعائد الربح الذى تقدمه الجمعية فى نهاية كل سنة على مجموع ما اشترى به العضو خلال تلك السنة ، والغرض من ذلك تشجيع التعامل مع الجمعية لضمان نجاحها وتقدمها .

٤ — الفائدة المحدودة على رأس المال " Limited interest on Capital " ولا تتجاوز هذه الفائدة ٦ ٪ من الأرباح توزع على الأعضاء بطريقة عادلة .

٥ — الابتعاد عن الاشتغال بالسياسة والدين .
"Political and religious neutrality"

٦ — التعامل نقدا "Cash trading" والغرض من ذلك تعويد الأعضاء الموازنة بين دخلهم وخرجهم ، ومحافظة من الجمعية فى الوقت نفسه على أموال المساهمين فيها .

٧ — نشر التعليم والثقافة "Promotion of Education" وذلك بما يخصص من الربح فى كل عام، ولمجلس الإدارة حق تعيين النواحى التعليمية أو الصحية أو الاجتماعية التى ينفق فيها ذلك المال .

وقد بدأت الجمعية عملها بإنشاء محل " للبقالة " بعمارة بنك مصر " بميدان الأوبرا " واحتفلت الجمعية باقتتاحه فى اليوم الخامس عشر من شهر أغسطس الماضى، والجمعية عازمة إذا ما ثبتت أقدامها — وهذا ما نرجوه لها — على إنشاء محال أخرى لبيع اللحوم والفاكهة الطازجة والخضر والألبان وغيرها مما هو ضرورى .

ويسرنا أن نتهز هذه الفرصة لننوه بالجهود العظيمة التى بذلها أعضاء الجمعية حتى وصلوا إلى هذه الخطوة الموفقة الناجحة بإذن الله .

والواقع أن إنشاء هذه الجمعية جاء فى الوقت المناسب فإن الحرب الحالية وما أحدثته من كساد تجارى أوقع الدول كلها فى أزمات اقتصادية شديدة ، وما نتج عن ذلك من ارتفاع أسعار الحاجات كلها ، ثم صعوبة الحصول على كثير من تلك الحاجات . كل هذا قوى عند الناس فكرة إنشاء جمعية تعاونية تقوم بإعداد حاجات الإنسان المنزلية وتقديمها له من أصناف جيدة وبسعر معتدل .

وليس التعاون — كما قد يظن بعض الناس — نظاما مؤقتا تدفع إليه ضرورة عاجلة ينتهى بانتهائها ولكنه نظام دائم تدعو إليه طبيعة الحياة فى كل وقت .

يقول الدكتور أحمد زكى أبو شادى فى محاضرة ألقاها بجمعية الشبان المسيحية بالاسكندرية " إن للتعاون مزاياه الجليلة فى السلم، وله مزايا أجمل فى الحرب حيث تشتد البواعث لتخفيف الضائقة ووقف الوصوليين الناهبين عند حدهم، والتعاون الذى لا يعطى لأى عضو أكثر من صوت واحد ، ولا يسمح بالتفانى فى الربح ، ولا يوزع الفائض إلا بقدر نسبة معاملات الأعضاء ، ويأبى التدخل فى السياسة والأديان ، ويجعل من عناصره نشر الثقافة ورفع المستوى الاجتماعى ، لهو هو الدواء لبلادنا المفككة بالتطاحن الحزبى ، وبألوان التعصب الطائفى والدينى ، وبفقر الجماهير ، وبقصور المشروعات الوطنية ، وبانتشار الأمية والأمراض المتوطنة وبكثرة الديون وتغلغل النفوذ الأجنبى " .

وغاية ما يرجوه المشرفون على الحركة التعاونية فى مصر أن تكون هذه الحركة الوسيلة الى الخلاص من كل الأمراض والعلل والدواء الناجع لكل الأسقام فهى بحق حركة الإصلاح التى تتناول جميع مرافق الحياة ، وما أحوج مصر فى هذا الوقت الى النهوض بهذه المرافق وتعويد الشعب على أن يحيا خيرا من هذه الحياة .